العدد(1603) السنة السابعة -الأربعاء (9) أيلول 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

ألف عام من الاضطرابات

الكتاب: الثأثر الانكليزي

تأليف: ديفيد هورسبول

ترجمة: ابتسام عبد الله

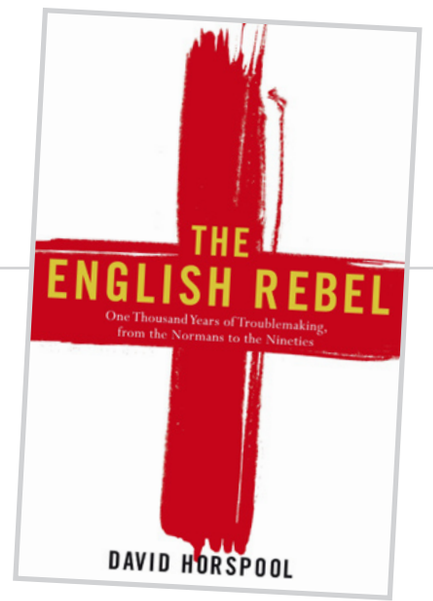

هل كان الناس في انكلترا ما بين عامي ١٧٢٧ – ١٧٨٢، يتصفون باللياقة والادب ويمتهنون التجارة، ام انهم كانوا سيئي الطباع ومجانين خطرين؟

بالنسبة للبعض تبدو انكلترا بلداً مسالماً يتغير تدريجيا ويحترم القانون.. وهي بالنسبة لآخرين مكان للاضطرابات، حيث يعتبر كل بطل شعبي مثل روبن هود أو روني بيغز مجرما.

المؤلف ديفيدهورسبول، المحرر للشؤون التاريخية في ملحق التايمز الادبي، يناقش هذا الموضوع في كتابه، باحثا في انواع مختلفة من الثوار — المتمردين.

ويعزي المؤلف سبب الاختلاف في الرأي الى كون الانكليز عموماً اكثر وعياً بالثورات المهمة التي هزت القارة الاوروبية ما بين ١٨٨٩ – ١٩١٧ ما جعلهم يهملون الاضطرابات العنيفة التي حدثت في انكلترا قبل تلك الاعوام.

ففي عام ١٥٤٩، قبل ٢٠٠ عام من الثورة الفرنسية حدث تمرد (كيت) ضد إدوارد الرابع.

ويتتبع هورسبول التقاليد الانكليزية للمتمردين من مقاومة الغزاة النورمانديين، وعبر المحاولات التي جرت لتقليص سلطة الملك، وصراعات الاصلاح الديني في القرن السادس عشر، ثم الحرب الاهلية في القرن السابع عشر، الى اضطرابات ضريبة الاقتراع عام ١٩٩٠. وتلك الاحداث التي قد تعتبر ثورية او مجرد حركات تمرد قد ادت الى ادخال اصلاحات ديمقراطية الى نظام الحكم الانكليزي عبر قرون من الزمن.

وعندما حانت فرصة صيانة السلطات الكبيرة (رجال اعتبروا انفسهم في مساواة الملك) كان البرلمان الانكليزي، في خلال الحرب الاهلية الانكليزية، يقاد من قبل ملاك الاراضي. وفي مراحل معينة، كان السياسيون البارزون يتراجعون في اعوام لاحقة – كما حدث في عام ١٦٨٨ من تمرد فوضوي.

لقد كان الدين وراء العديد من حركات التمرد، على الرغم من ان الكنيسة الانكليزية كانت في الغالب تابعة او اداة بيد السلطة الحاكمة. وكانت هناك صلاة تقام في الكنائس احتفاء بفشل مؤامرة "البارود" حتى عام ١٨٥٩، حسب التقويم الانجليكي.

ان كتاب، "الثائر الانكليزي"، جيد لانه يتناول التفاصيل الدقيقة في التاريخ ويشرح اهميتها. فهل كانت الوثيقة العظمى للحقوق التي اكره النبلاء الانكليز الملك جون على اقرارها عام ١٢١٥، ستصبح ذا اهمية لولا وفاة الملك بعد مدة قصيرة من توقيعها؟ هل كانت الملكية البريطانية تخضع لتغيير بنيتها وفقاً لخطوط المستبدين، ان كان الملك جارلس الاول اكثر حكمة ودبلوماسية؟

هناك القليل مما يعرفه الناس عن حياة وات تيلر، احد رموز الثورة الانكليزية. وهو ربما انحدر من ميدستون، او من كولجستير، ولكنه بكل تأكيد كاد ان يقلب السلطة الملكية في ١٥ حزيران عام ١٣٨١. وتيلر مواجها الملك ريتشارد خارج اسوار مدينة لندن في منطقة سمث فيلد، كقائد فيما عرف بعدئذ بثورة الفلاحين، ابدى صلابة كبيرة في مخاطبة الملك مباشرة، وقد احتفظ بغطاء رأسه وتحدث بلهجة التهديد، ممسكاً بخنجر ينقله من يد الى يد وهو يقترب من الملك، قبل ان يمسك بذراعه ويهزها بقوة، بينما كان يطرح مطالبه. وكانت تلك المطالب تتضمن توزيع خيرات الكنيسة بين عامة الناس، وإلغاء عبودية الارض. وعلى غير المتوقع، اذعن الملك لتلك المطالب وهو في مواجهة الثوار. ولكن لحظة انتصار تيلر كانت قصيرة الامد. إذ قام ويليام والوورت، محافظ لندن، بطعن تيلر في رقبته، توفي على اثرها، ولكنه في لحظاته الاخيرة قبل الموت نادى على الثوار للانتقام له.

وللمؤلف اهتمام بالمكان ايضا. فهو يتحدث عن جغرافية لندن التي تحقق النجاح او الفشل للثوار، حيث كان فيها آنذاك جسر واحد على نهر التيمز.

ويميز المؤلف بين المتمردين والثوار وبين التمرد والثورة فالتمرد في رأيه يتميز بالعنف وغالبا ما يتجه نحو الممتلكات. المتمردون الانكليز أرادوا دائما تغيير الاوضاع وليس قلبها، وهم لديهم ايضا استعداد على التفاوض مع السلطات – على الرغم من ان هذا الامر لم يحقق لهم شيئاً ما – ويقدم الكتاب سجلاً كاملاً بعمليات الشنق التي جرت إثر كل تمرد. والمتمردون الذين طلبوا تغيير الملكة ماري تيودور، في الحركة التي قادها ويات عام ١٥٥٤، لم يكونوا واثقين من هدفهم: هل يريدون اغتيال الملكة او ارغامها على الزواج من احدهم. وقد لخص اوليفر كروموميل الوسائل التي تتغير بها حركة التمرد الى ثورة بقوله: "الانسان لا يقدر على قطع مسافة طويلة ما لم يكن يعرف الى اين هو ذاهب".

الستينيات في المغرب.. استياء تجاه المجتمع

الكتاب: الستينيات

تأليف: جيني ديسكي

ترجمة: هاجر العاني

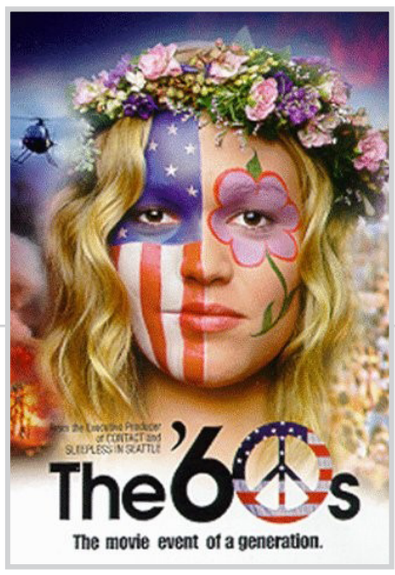

بالنسبة الى أي شخص وُلد بعد عام ١٩٦٠ يوجد القليل من الطرق الباعثة على الملل لقضاء بعد الظهيرة اكثر من الاصغاء الى احد الاقرباء يقص علينا ما فعلنا "نحن" في ستينيات القرن الماضي، وتقول (جيني ديسكي) في معرض وصفها لاكثر عقود الزمان اثارة للجدل"تعاطينا عقاقير منبِّهة للذهن لنغير وعينا ونجد طرقاً اخرى للتفكير في طريقة حياتنا "وتضيف" وكففنا عن ارتياد الجامعة وحاربنا أية منشأة استطعنا العثور عليها وطفنا حول العالم لنلاقي تقاليد معيشة مختلفة... واستكشفنا الحرية الجنسية وبدأنا في التفكير في الطبيعة السياسية لادوار الجنس (من حيث الذكورة والانوثة) – وهلم جراً.

وعند قراءة تلك الكلمات كان رد فعلي الاولي هو التمتمة بـ: ماذا، كلُّكم؟ فهل كان (نايجل مانزل)، على سبيل المثال، موجوداً في (المبنى البدائري (لإصلاح القاطرات وايوائها))، والمفصل الواصل بين اجزاء الماكنة في يده، وذهنه يناضل لفهم معنى مخططات الواقع؟ ولنكون منصفين تسلَّم (ديسكي) في نهاية الامر ببيت القصيد، فهي تعترف بأن ما تسميها هي الستينيات كانت محصورة بأقلية ضئيلة من الشباب المثقفين ثقافة رفيعة في لندن والبلدات التي تضم جامعات كبيرة، وأغلب الناس في"العالم القويم" لم يقرأوا ابداً الـ (بيتس) (جيل الـ (بيت) وهم مجموعة من الكتّاب الامريكيين في عقد الخمسينيات الذين كانت كتاباتهم تجسد استياءً عميقاً تجاه المجتمع الامريكي وطارحين مجموعة بديلة من القيم) ولا وضعوا احمر شفاه ابيض اللون ولا عاشوا في احياء صغيرة، كما فعلنا "نحن".

وعلى الرغم من عنوان كتاب (ديسكي) فإنه في الواقع عبارة عن مذكرات وينجح بأفضل شكل عندما تكتب عن حياتها هي سواءً عن انشاء مدرسة مجانية او تجريب سخافات المعالجة النفسية المتطرفة، ومن الغريب انه من المفترَض ان يكون الكتاب مجلداً في سلسلة الناشر المعنونة (الافكار الكبيرة) ولكن، ما دامت ثقافة ستينيات القرن الماضي ثقافة ذاتية جداً، فربما كانت ذكريات الماضي الشخصية هي أنسب الطرق لمعالجتها، ومع ذلك ورغم ان (ديسكي) تكتب بحساسية عن نفسها في شبابها، من اكتشافها في مراهقتها لسينما دار الفنون الى تجاربها مع العقاقير، الا ان الكثير من ذلك يعكس شعوراً بأنه مألوف جداً، فمثلاً كم مرة قرأنا عن اناس ستينيات القرن الماضي يعيبون خمسينيات القرن الماضي بسبب "الافتقار الى اللون؟" ولكن في حينها كان فهم خمسينيات القرن الماضي فهماً خاطئاً مكوِّناً أساسياً لهذه الانواع من الكتب، ولا بد من ان خمسينات (ديسكي) "الرمادية" كانت عقداً مختلفاً عن العقد الذي أبصر بداية المجتمع الموسر، ولادة التلفاز وقدوم الروك اند رول، ولا بد من ان خمسينياتها (خمسينيات الكاتبة) التي فيها يتم "حظر" كتب الجنس قد كانت عقداً مختلفاً عن ذلك العقد الذي تم فيه بيع كتيبات الجنس بمئات آلاف النسخ ووزع (مجلس ارشاد الزواج) كراسات عن كيفية الوصول الى "النشوة الجنسية المُرضية للزوجين".

وتقدم (ديسكي) بالفعل بعض الفهم العميق الذي يكشف الكثير، وهي بارعة في افراطات التعليم التقدمي وهي نزيهة بشكل مختلف بخصوص ما انجزه جيلها في الحقيقة – "لم توجد افكار جديدة ولا كتب رائعة ولا لوحات ولا شعر يتصف بالروعة"، وعلى الرغم من الحديث عن الراديكالية (التطرفية) السياسية الا انها تعترف بأنه "من اللافت للنظر فعلاً مدى ضآلة التأثير الذي أحدثناه"، غير انه من المؤكد انه كان هناك سبب واحد لذلك وهو اللامبالاة العامة لأصدقائها القدامى تجاه آمال الآخرين وقيمهم، وحتى الآن وبعد الاعتراف بأن أغلب معاصريها عاشوا حياة مختلفة للغاية فإن (ديسكي) بالكاد تستطيع ان تقنع نفسها بالاشارة اليهم، ولا عجب بأنَها صُدمت الى هذا الحد عندما صوتوا للمسَز (تاتشر).

عن الصانداي تايمز

صعود وسقوط المخابرات الروسية في أميركا

الكتاب: جواسيس

تأليف: جون ايرل هاينيز، هارفي كليهر والكسندر فازيليف

ترجمة: المدى

في خلال سهرة صاخبة في نادي غارغويل في لندن، وقبل لجوئه الى لندن عام ١٩٥١، وصف مسؤول الخارجية دونالد ماكلين نفسه بـ"هيس انكلترا". وكانت تلك مقارنة مناسبة.. وكان مالكين، قبل بدء انهياره بسبب تعبه في العمل لمدة تزيد على عشر سنوات، ذا شهرة كبيرة. اما الامريكي الغرهيس، فكان شهيراً بدوره، وبدأ العمل لصالح المخابرات السوفيتية عام ١٩٣٥، ربما في اللحظة نفسها التي بدأ فيها ماكلين عمله. وفي شباط ١٩٤٥ اصبح عضوا في الوفد الامريكي لمؤتمر يالطا.

وإدانة هيس في عام ١٩٥٠ وتجريمه (بعد انكاره تسليم معلومات سرية للعميل السوفيتي هاندلر)، تحول الى قضية شهيرة. وهو بعد ذلك غدا شخصيا له قيمته في الولايات المتحدة الامريكية باعتباره الضحية البريئة لحملة مسعورة من المكارثية. وقامت آلغر هيس – كما فعلت جامعة كيمبردج بتخصيص كرسي لدونالد ماكلين تحت اسم العلاقات الخارجية. وبعد القيام بفحص ملفات جديدة للمخابرات الروسية (KGB)، ظهر ان ملف النشاط السوفيتي في الولايات المتحدة قد اغلق تماما. وتبين تلك الملفات ان هيس قد منح سراً شارة النجم الاحمر بعد انتهاء مؤتمر يالطا وإثر زيارة له للاتحاد السوفيتي.

ويعتمد كتاب "جواسيس" على نزيف آخر للاسرار من ارشيف KGB – وفي هذه الحالة على ملفات ما قبل الحرب وفي اثنائها والعمليات السرية في الولايات المتحدة الامريكية، وقد كتب هذا الفصل ألكسندر فازيليف. وعلى الرغم من السماح لفازيليف بقراءة ذلك الارشيف فإن معلوماته التي حصل عليها لم تكن مؤهلة للنشر من قبل موسكو. ان ما اكتشفه فازيليف يعتبر تتمة كاملة لموضوع قدمه فازيلي ميتروخين – الارشيفي المنشق والذي هرب من روسيا مع عائلته عام ١٩٩٢.

وعلى الرغم من ان ميتروخين بحكم عمله قد اطلع على كافة ملفات KGB فيما يخص العمليات الاستخبارية الروسية في كافة ارجاء العالم من خلال مرحلة الحرب الباردة، فان المادة التي قدمها فازيليف عن سنوات الثلاثينيات والاربعينيات من القرن الماضي اكثر دسامة.

والكشف الاكثر اهمية في "جواسيس" هو العدد المدهش من الامريكيين (اكثر من ٥٠٠) من خلفيات متنوعة، قدموا المساعدات للمخابرات السوفيتية. واغلبية اولئك فعلوا ذلك بدافع الحب وليس المال معتقدين ان ستالين هو امل الجنس البشري. وقد تسللت كافة المعلومات الخاصة بادارة روزفلت من سجلات المعلومات الحربية، ومعلومات اخرى تخص المختبرات النووية في لوس انجلس الى الاتحاد السوفيتي. وفي تحليل لملفات KGB عن "الاستاليين الامريكيين" يثبت ان فازلييف كان محظوظاً مع المتعاونين معه، ومنهم هارفي كلير وجون ايرل هاينيز اللذان يمتلكان معلومات لا ينافس عليها عن الامريكيين – الشيوعيين وعلاقات المخابرات السوفيتية.

وعلى الرغم من ان "جواسيس" لا يهتم مباشرة وبجامعة كيمبردج البريطانية – المصدر الاساسي للتجنيد في اواسط الثلاثينيات من القرن الماضي، فان الاشارة اليها ظهرت في بعض الاحيان. وقد اطلع الـKGB، للمرة الاولى على التعاون النووي الامريكي – البريطاني من "الرجل الخامس" في كيمبردج ويدعى جون كيرن كروس. وفي عام ١٩٤٣ قدم الجاسوس انغلبرت برودا الاساسي للسوفيت كافة المعلومات المتعلقة بالابحاث النووية الامريكية والبريطانية، وكان برودا شيوعيا استراليا يدرس في الجامعة وفي مختبر كفنديش بالذات. وما ان تم الحصول على خطط اول قنبلة ذرية (ربما اكثر الاسرار اهمية في تاريخ التجسس)، حتى تمكن الجواسيس السوفيت من الحصول على المعلومات العلمية والتكنولوجية الخاصة بمحركات الجيت والرادار والسونار والمخترعات العسكرية. وبعملهم ذلك وضعوا الاساس للحرب الباردة. ومع ان المخابرات السياسية السوفيتية بعد الحرب اخذت بالتضاؤل تدريجيا فان المعلومات العلمية والتكنولوجية بقيت ذا قيمة عالية. وبناء على تقدير لـ KGB عام ١٩٧٩ فقد لوحظ من قبل متروخين حول المشاريع المتطورة للصناعة العسكرية السوفيتية ان اسبابها تعود الى تلك المعلومات التي تسللت من امريكا، وكلا الطرفين في الحرب الباردة – ميثاق وارشو والنيتو – اعتمدا على المعلومات الامريكية.

ومع ان هذا الكتاب قد نال المديح في امريكا، فإنه اثار غضب البعض لانه يسيء الى سمعة عدد من الراديكاليين فيها.

"جواسيس"، على كل حال لا يترك شبهة من ان سلوك الاتحاد السوفيتي، في خلال الحرب العالمية الثانية في امريكا مع المساعدة الفعالة من الحزب الشيوعي الامريكي، كان الاوسع والاكثر انتاجا من ناحية الضرر المخابراتي من اي قوة ضد حليف في زمن الحرب.

المشاعر الإنسانية في أعقاب الكوارث

الكتاب: جنة مقامة في جحيم

تأليف: ريبيكا سولنيت

ترجمة: المدى

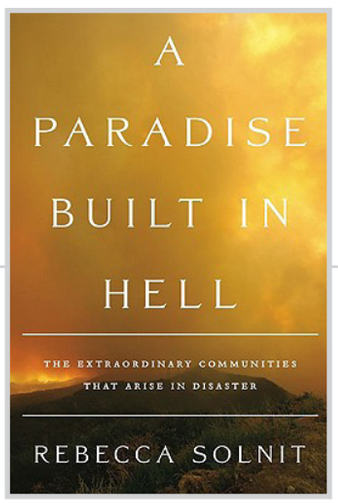

كاتبة المقالات من الساحل الغربي والناقدة الاجتماعية (ريبيكا سولنيت) هي من ذلك النوع من المفكرين الصارمين الفظين الذين لا تنجب امريكا في اغلب الاحيان ما يكفي منهم، وكان من المدهش التفرج على مسيرتها المهنية المتعرجة وهي تنمو بعد التعرج.

وفي كتبها العشرة السابقة كتبت عن مواضيع متباينة مثل التصوير الفوتوغرافي لـ (إدويرد موبيرج) ومناظر مدينة سان فرانسيسكو الطبيعية وتاريخ المشي وطبيعة الانشقاق السياسي وهي تطارد دائماً فريستها الذهنية من زوايا مائلة.

وكتابة الآنسة (سولنيت)، في أسوأ احوالها، يمكن ان تكون متداخلة ووقورة ذاتياً، شبيهة بـ (جوان ديديون) (روائية وكاتبة سيناريوهات وصحفية امريكية (ولدت عام ١٩٣٤) مشهورة بأسلوبها القوي الرشيق الذي يثير الاحساس بالانفصال واليأس الثقافي والكثير من كتاباتها تجسد القلق بشأن تفكك المجتمع في امريكا الشمالية واحسن وأسوأ ما في الآنسة (سولنيت) يتواجدان في نفس الكتاب وأحياناً نفس الجملة – تكون لديها موهبة نادرة الا وهي القدرة على قلب فعل الادراك – الخاص بالوصول الى وجهة نظر متماسكة – (قلبه) الى دراما اخلاقية مثيرة.

وكتابها الجديد (جنة مقامة في جحيم) هو عبارة عن تقص ليس عن فكرة وانما عن عاطفة وهي البهجة العابرة والهادفة التي تملأ البشر في مواجهة الكوارث كالاعاصير والزلازل وحتى الهجمات الارهابية، ومن الواضح ان هذه احداث لا يتمنى المرء وقوعها – كما تكتب الآنسة (سولنيت) – ومع ذلك فإنها (الاحداث) تُخرِج أفضل ما فينا وتعطي هدفاً مشترَكاً، ففي كل يوم تتلاشى مخاوف و قيود اجتماعية حضارية)، ويملأ الاجواء نوع غريب من التحرر، ويرتفع الناس الى مستوى الاحداث، ويبدو ان الانسلاخ عن المجتمع يتلاشى.

وتتساءل الآنسة (سولنيت) "ما كنه هذا الشعور الذي يبرز فجأة أبان الكوارث الكثيرة جداً؟"، وهي تصفه بأنه "عاطفة اخطر اكثر قتامة من السعادة لكنه ايجابي بعمق" وهو يستحق الدراسة لانه يفتح "نافذة منقطعة النظير على الرغبة والامكانية الاجتماعيتين"، وردُّنا على الكارثة لا يعطينا اقل من "لمحة عمَن غير انفسنا قد نكون وعما قد يصبح عليه مجتمعنا غير ما هو عليه "، ويمكن على الارجح اختصار فرضيتها الاساسية في هذه الجملة: "ان انعاش هذا الهدف والتقارب بدون أزمة او ضغط" – يعني بدون كارثة – "هو المهمة المعاصرة لكوننا انسانيين".

وفي (جنة مقامة في جحيم) تسبر الآنسة (سولنيت) أغوار خمس كوارث وهي: زلزال وحرائق سان فرانسيسكو عام ١٩٠٦وانفجار سفينة شحن الذخيرة (هاليفاكس) عام ١٩٠٧ وزلزال مدينة المكسيك عام ١٩٨٥ واحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول واعصار كاترينا، كما انها تكتب عن هجوم لندن الخاطف وتشرنوبيل والعديد من التقلبات وتتفحص الميدان المتنامي لدراسات الكوارث.

وهذه الكوارث تختلف – بالطبع – بطرق أساسية، بيد ان الرد الانساني الايثاري نحوها كان متيناً كما تكتب الآنسة (سولنيت)، وهي تقارن الفرحة الغريبة (الشاذة) بالعيش في اعقاب تلك الكوارث (تقارنها) مع العيش في حالات الفوضى الحميدة من النوع الذي وصفه (توماس باين) في كتابه "حقوق الانسان".

وفي المستعمرات أبان (الحرب الثورية) (حرب الاستقلال الامريكية (١٧٧٥-١٧٨٣)) كتب (باين) "لم يكن هناك نموذج مؤسَّس للحكومة... ومع ذلك فأثناء هذه الفترة الفاصلة تم حفظ النظام والانسجام بمثل سلامتهما في اي بلد في اوروبا... وتم الغاء الحكومة الشكلية الفورية وبدأ المجتمع بالتصرف، ونشأت رابطة عامة والمصلحة المشتركة أنتجت أمناً مشتركاً".

وتفترض الآنسة (سولنيت) ان المعضلات التي تنشأ عقب الكوارث تأتي بشكل كبير من ردود افعال الحكومة الرسمية، والردود المتأتية من كل المستويات تنهي الجهود الجماعية المرتجَلة، وتعليقات مثل تلك التي ادلى بها الرئيس (جورج دبليو بوش) عقب احداث الحادي عشر من سبتمبر –التي ينبغي علينا جميعاً ان نسوِّقها – تثبط "اندفاع المواطَنة".

وتكتب الآنسة (سولنيت) لتقول ان الادهى من ذلك ان وسائل الاعلام الاخبارية والعوامل الاخرى قد كيفت المتربعين على كراسي الحكم ليصدقوا بأن الناس ينزعون الى التصرف تصرفات سيئة في اوقات الازمات وليصدقوا بالاعتقاد الهوبزي (نسبة الى (توماس هوبز) (١٥٨٨-١٦٧٩) وهو فيلسوف انكليزي أيد الحكم الملكي المطلق التي مفادها "اننا جميعاً قنابل لا اجتماعية مُنشَّطة بسهولة تنتظر ان تنفجر"، وهكذا (وبالتالي) تنطلق عقلية تسميها "ذعر النخبة".

واختبار الآنسة (سولنيت) لذعر النخبة في نيواورليانز عقب اعصار كاترينا هو الجزء الاكثر شداً للانتباه واثارة للدهشة في كتابها، وهي تلمِّح الى ان الكوارث الحقيقية هناك حدثت بشكل كبير بسبب الخوف والاعتقادات غير المُجرَّبة بخصوص الطبيعة البشرية، وانتشرت الخرافات عن امور مثل اغتصاب الاطفال في القبة الكبرى في لويزيانا وعن السلب الجماعي وعن الرعاع السود الذين يعرضون للخطر املاك البيض، ويستمر عرض تسجيلات أسوا التصرفات مراراً وتكراراً في التلفاز معتمين على ماهية حقيقة الحياة في المدينة.

ويتم البدء بمزاج عسكري، مع حراس بيض محليين في الخارج يقومون بدوريات بسبب – واحياناً لاجل قتل – السود الذين تخيلوا خطأً انهم كانوا يشكلون تهديداً لهم، وتنتقد الآنسة (سولنيت) بقسوة وبشكل خاص قرار غلق الجسر المنطلق من اورليانز والمؤدي الى غرينتا في لوس انجلس.

عن التايمز